عصرنا عصر الخشب لا عصر الذرّة

الغابات

وكيف ننتفع بأشجارها

للأستاذ جرجي نيقولا دبس

على الرغم من كوننا في عصر الذرّة ، وننتقل من تقدم الى آخر ، فان هـذا لا يمنعنا من أن نقول إن عصرنا الحالي هو عصر الخشب أيضاً ، فورق صحفنا مصنوع من الخشب ، واطارات نظاراتنا وأقلامنا الحبر ، وما يشابه ذلك ، مصنوعة من العجائن المأخوذة من الخشب . والدور التي نعيش فيها جزء كبير منها مصنوع من الخشب . كذلك أثاث المنازل والعوازل الكهربائية ونصف الادوات التلفونيـة والادهنة وبعض الآلات الموسيقية وأدوات الفوتغراف وأشياء كثيرة من أقلامها وما يتعلق بها يصنع من الخشب . كما ان كاوتشوك السيارات والطائرات يستخرج من الاشجار ، وهياكل العربات وبعض هياكل السيارات ، والطائرات كانت تصنع من الخشب .

وفي الحرب العظمى استعمل الخشب في صناعات عديدة حتى استخرج منه اللحم وعلف الحيوان والعطور والسكر ، وصنعت منه الأدوية مثل السلفاميد كما اتخذت منه العقاقير المطهرة والقاتلة للحشرات والمبيدة للبعوض والذباب مثل الـDDT وغيرها ، والهرمونات الجنسية والفيتامين (د) وبعض أنواع الصابون ، وأصناف لا عدد لها من الدمى المختلفة الأشكال والانواع .

وتناولته الكيمياء فصنعت منه السيلوفان والسيليلويد والخمائر الزراعية والأسمدة وغير ذلك ، مما حل محل الحجارة والصلصال والمعادن والزجاج والصوف والقطن والحرير

وسائر المنسوجات . وعلى الرغم مما وصفنا إليه من كثرة الصناعات المرتكزة على الخشب ، فإن المستقبل يخبىء لنا اضعاف أضعافها ستستخرج من هذه المادة التي تجود الطبيعة بها على الانسان في كل بقعة من بقاع الأرض بشكل دائم ومستمر وبدون انقطاع ، حتى لتصح لنا أن تقول إننا سنستخرج المصدر الطبي الذي سيمنحنا كل ما نحتاج إليه ونفسو له ، وكل الضروريات والكماليات ونرق الكماليات .

﴿الخشب يوجد في كل البلاد﴾ يعد الخشب الآن من المواد الاولية التي لا غنى عنها ، والتي توفّر كل حاجيات الحياة الانسانية ، فيقدم الغذاء للانسان والحيوان ، وهي في العالم الآن المصدر الثاني لخيوط النسج التي تكسو عدداً وافراً من بني البشر ، وسيأتي يوم تقدم فيه الكساء لمعظم أهل الأرض ، كما تقدم الآن للمهندسين المعماريين كل ما هم في حاجة إليه لاقامة الأبنية والدور والقصور وما إليها .

﴿الخشب يملأ الأرض﴾ وعلاوة على ما يجده الانسان في المساحات المهملة من الأرض من الفحم الحجري والحديد والبترول وسائر الثروات المعدنية العديدة ، توجد في عالمنا من الغابات ما تبلغ مساحتها أربعون مليار فدان ، أي ما يوازي ربع مساحة الكرة الارضية ، وهي زاخرة بالأشجار الخشبية الباسقة ، ولم ينتفع حتى الآن إلا بجزء صغير من أخشاب هذه المساحة الهائلة ، ويكفي للدلالة على عظم هذه الغابات واتساعها أن نقول ، إن مساحة ما هو موجود منها فقط في بقاع الخط الاستوائي وفي القطبين تبلغ مساحة أمريكا الشمالية بأسرها بما فيها كندا والولايات المتحدة والمكسيك وما يليها جنوباً ، وان فدانين من الغابات الجيدة الأشجار يدران سنوياً من خيوط المنسوجات أضعاف ما يدره فدانان من القطن ، كما يعطيان من السكر مثلما تعطي نفس المساحة اذا زرعت بنجراً أو قصباً .

﴿الخشب لا ينفد﴾ وليست الغابة حقل معادن ينفد ما فيه من كثرة الاستنباط ، بل هي أرض للاستغلال ، على شرط أن تراقب هيئة منظمة قطع الأشجار وزرع غيرها ، وبهذه الطريقة يستطاع الحصول بشكل دائم على الخشب اللازم لجميع الصناعات والمواد التي يحتاج إليها الانسان في كل زمان ومكان .

ولكن مما يؤسف له أن معظم الغابات في جميع أنحاء العالم غير خاضع للرقابة المنتظمة ، فتقطع الاشجار بمقتضى هوى وفقاً لرغبة كل انسان ، كما أن زراعة الشجر ليست مما يهتم به ، وهذا

يدل على أن مدنيتنا الصناعية لم تعرف بعد كنه المعرفة حقيقة المادة الخشبية ، وما يستطاع جنيه من ثروات الغابات التي لا تعد ولا تحصى ، فالانسان في مدة تاريخه القصير على وجه البسيطة ، قد حوّل الى بقاع قاحلة ، لا زرع فيها ولا ضرع نحو عشرين مليار فدان من الغابات ، أي ما يصل الى ثلث مساحة الغابات التي أوجدتها الطبيعة ، ويوجد الآن من التبذير في الأخشاب التي نحتطبها ما يعد خسارة جسيمة لحياة البشر الاقتصادية والصناعية ، فمن بين كل أربع شجرات تقطع شجرة واحدة فقط تصل الى المستهلك بكل ما يحوي منها من الفوائد العديدة ، والثلاث الباقيات تذهب هباء منثوراً ، كأن تحرق أو أن تمزق ارباً دون فائدة ، أو أن تسقط نفايا هنا وهناك

وهذا الشر الذي نعده مستطيراً يأتي من اعتقاد الانسان العادي ان الخشب لا يصلح إلاّ للوقود أو للعمار . وحقيقة الواقع ان الخشب له من المنافع ما ليس لمادة أخرى من المواد الطبيعية ، وفي استطاعتنا أن نؤكد أن هذه المادة اذا استعملت في خدمة البشر من الوجهة العملية الحقيقية ، أمكنها أن تزيل من العالم كل أنواع الشقاء ، لأن استغلال جميع مصادر الغابات من شأنه أن يحدث في المعمورة ثورة عالمية مؤسسة على السلام والرخاء والرفاهية .

وقد يعتقد البعض أن هذه النظرية غير واقعية ، أو لا تقبل التحقيق ولكن الكثيرين من الذين تعمقوا في درسها يعتقدون بصحتها وحقيقتها ، وانه في الاستطاعة اخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل ، هذا اذا بذلنا شيئاً من الجهد ، وبعضاً من الروية .

﴿أوجدوا صناعة غابية﴾ اننا في هذه الأيام ندمر الجزء الأكبر من ثروة الغابات ، وحتى في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يعمل حساب دقيق لكل شيء مهما تفه ، فان الامريكيين يدمرون من ٤٠ الى ٧٠ في المائة من هذه الثروة ، اذ عوضاً من أن يكون في العالم صناعة تسمى الصناعة الغابية ، يوجد فقط مصانع متفرقة منها ما هو للورق ومنها ما هو لنشر الالواح الخشبية ، ومنها ما هو للفحم ، وغير ذلك مما يتفرع من خشب الاشجار .

واذا ما جمعت هذه المصانع وضمت الى بعضها فان أشجار الغابات تفي بحاجاتها كلها ، ويتبقى منها جزء كبير ، كان يذهب جزافاً يستعمل في صناعات لا عداد لها ، نذكر منها المحاليل والبلاستيك و نورنيش والالوان ، والفحم ، والعوازل الكهربائية ، والمقابض والخل والأنسجة ، والروائح ، ولا سيما الكحول المستعمل في حاجات الحرب ، والخ

يستخرج من النسج والدقيق بكميات هائلة ، ومن ألواح الخشب المعدة للبناء لصنع الأثاث ، إذ تبين أنه ... يستخرج منه الكحول من نفايات الخشب التي لا يدري أصحاب المصانع كيف يتصرفون فيها ، ومن السوائل التي لا قيمة لها والتي تخرج من مصانع الورق .

إن نشارة الخشب التي تختفي مع التراب من أرض مصانع الخشب في الاستطاعة إيجاد منها طعام للحيوانات غني بالبروتين ، في مقدرته أن يغذي عدداً وافراً من حيوانات الذبح الصالحة لغذاء الانسان ، كما أن استخراج الكحول الخاص بالمواد الحربية ، عوضاً من استخراجه من القمح والدقيق من شأنه أن يوفر للعالم سنوياً ملايين القناطير من هذين الصنفين الحيويين للجنس البشري في طعامه اليومي ، فيرخص سعرهما المرتفع ، وتزول المجاعات المخيفة التي حدثت بعد الحرب العظمى ولا تزال تحدث في كثير من بلدان العالم ، ولا سيما في القارة الأسيوية .

إن الصناعة الغابية اذا أحسن ترتيبها وادارتها في استطاعتها أن تغير مجرى حياتنا الاقتصادية ، وتمنع الكثير من البلاء الحال ببني البشر ، اذ لا يوجد في أوربا كلها بلد ينتفع الانتفاع الكلي بثروته الغابية ، اذا استثنينا السويد فهذه الدولة تمكنت طيلة الحرب العالمية الأخيرة بضم أطراف مصانعها وتوحيد العمل فيها فانتفعت الى أقصى حد بثروة الغابات فيها ، دون أن تترك شيئاً ولو تافهاً من أخشابها يذهب هباء ويضيع سدى ، فصنعت من الخشب الأطعمة التي لا عداد لها وعلف الحيوان والسكر والنشاء والكحول والخل والنبيذ والفحم وخيوط الغزل والمطاط الصناعي والمعاجين التي يصنع منها أصناف وأنواع من الحاجيات لا تقع تحت حصر ، حتى أنها أمدت بحاجات الطعام في منتصف الحرب ، واعطت من الأغذية والأطعمة أكداساً مكدسة أصدرتها الى جاراتها النروج والدانمرك وسائر البلاد الأوروبية حالما تحررت من نير الغارة الألمانية ، بدرجة قيل معها إن غابات السويد أنقذت البلاد من الاختناق الاقتصادي .

ويجب علينا الاعتراف أيضاً أن هناك عوامل أخرى ساعدت في هذا الانتعاش ، غير أن الفضل الأكبر يرجع الى غابات السويد وحسن استعمال أشجارها أو عدم التفريط في أية نفاية تسقط من الأخشاب عند استهلاكها .

« الغابات عماد لذهب الارض وثروتها » الشقاء يخيم على القارة الأسيوية ، والمجاعة تفتك سنوياً بمعظم أهلها مع أن معظمهم يعيش في الأراضي التي كانت في الماضي من أخصب بقاع الأرض ، لكنهم لاشوا الغابات التي كانت هنالك فنضبت الينابيع واكتسحت الأمطار الطمي الذي ينتشر فوق الجبال ، وجرفت الفيضانات الطين والوحل واحلتهما في

الأراضي المزروعة فأتلفت ما فيها ، وأنزلت بحسبها الدمار والبوار .

يدّعي البعض أن مدنيتنا الحالية تتطلب دحر الغابات والتخلص منها واحلال المباني محلها ، والحقيقة ان مدنيتنا تقتضي العناية التامة بالغابات ، وزرع الأراضي البور بالأشجار الخشبية ، لأن العصر الذي نلجه ليس عصر البترول ولا الذرة ، بل عصر الخشب الذي سيأتي يوم نستخرج منه ان لم يكن كل حاجياتنا فجلها ، لأن الغابات اذا انتفعنا منها جيداً تعادل تماماً معادن الذهب والبترول ، بل تفوقهما أضعافاً مضاعفة ، لأن هذين الصنفين ليس فيهما نفع في حد ذاتهما ، فهما واسطة ووسيلة ، بينما أن الخشب مصدر لكثير من المآكل والحاجيات التي تصنع منه ، وتؤخذ من مادته نفسها .

﴿ الغابات لم تزل وافرة في العالم ﴾ ومن حسن حظ الانسان أن بقاعاً فسيحة في الارض لم تزل عامرة بالغابات ، إذ يوجد نحو ثلاثين مليار فدان من الغابات الغبياء العذراء في خط الاستواء وما تحته في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، علاوة على ما يوجد منها في آلاسكا ومنشوريا وسيبيريا الروسية .

وهذه الثروة الخشبية لا ينضب لها معين ، فهي ليست معادن ولا بترولاً يأتي عليها يوم تنفد فيه وتجف ، بل هي قابلة للزيادة والاتساع إذا زرعت مقابل كل شجرة تقطع شجيرتان أو أكثر ، وفي الاستطاعة تحويل الصحاري الجرداء الى غابات غبياء بقليل من الجهد وبجزء من المال الذي ينفق على التسلح وابتكار آلات الخراب والدمار ، فتصبح هذه الأراضي الجرداء جنات خضراء فيحاء تدر على أهلها اخلاف الرزق ، فتنتفي الحاجة ، ويزول الفقر ، ويملأ كل انسان بطنه بالمآكل دون أن تكون هناك مجاعة ولا قحط ، ولا عوز ولا متربة .

ولكن هل يعود الانسان الى صوابه ، ويحكّم عقله في أموره وشؤونه ، ويميّز صالحه من طالحه ، ويعرف ما يضره وما ينفعه ، ويقلع من غيه ، وينبذ فكرة الحرب ، وينصرف الى التشييد والتعمير عوضاً عن التخريب والتدمير ؟

نقول : لا ، والأسى يحزّ في نفسنا ويمزّق نياط قلبنا

(مترجم عن مجلة ايكو الفرنسية)